



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة غرداية
مجلة إسهامات للبحوث والدراسات
E-ISSN.2543- 3636 / P-ISSN.2543- 3539
<http://ishamat.univ-ghardaia.dz/index>



تاريخ المذهب الظاهري في الأندلس من خلال تراجم بعض أعلامه

الدكتور طاهر بن علي

أستاذ بقسم التاريخ، جامعة غرداية

ezzahirit@gmail.com

الملخص:

الأندلس بيئة مالكية بامتياز منذ بداياتها، والمالكية صبغة ثقافتها السياسية والاجتماعية. والمذهب المالكي هو من عصمها من التشرذم والتفتت الذي حملت بذوره الأفكار الطائفية والفلسفية. وقد تعصب الأندلسيون لمذهبهم إلى درجة المغالاة، ومع ذلك دخلت إليها مذاهب أخرى، فرضها المنهج في الدراسات الإسلامية، وتأثير الأئمة أصحاب المذاهب.

ومن بين هذه المذاهب التي دخلت إلى الأندلس المذهب الظاهري، الذي شاءت له المقادير أن ينتعش فيها بعدما اضمحلّ في المشرق، وأشرف على الأفول. وبرزت في الأندلسية ذهنية ظاهرية جبارة ناضلت عنه، وأحيت أصوله وفروعه بما أنشأت من نصوص، وألفت من كتب، وتمثلت في شخصية ابن حزم الأندلسي رائد المذهب الظاهري بلا منازع.

والمقال يبحث في تاريخ هذا المذهب في جغرافية الأندلس وما حولها، بإشكالية جامعة مفادها: كيف بدأ المذهب الظاهري في الأندلس، وكيف تطوّر على يد ابن حزم، وكيف آل بعده؟.

الكلمات المفتاحية:

الأندلس، تاريخ، المذهب الظاهري، ابن حزم.

Abstract:

The history of Zahirite doctrine in Al Andalus through some biographies of its scientists.

Summary Al Andalus has been a pure Maliki environment since its birth and

Al Malikiyah has characterised its political and social culture . Malikite doctrine preserved it from separation and collapse ; brought by political and sectarian thoughts . The Andalusians were extremely intolerable for their Madhahab ; however , other doctrine were added by the imposition of the approach of the islamic studies and the effect of scholars owner of doctrine . Among doctrine that had entered to Al Andalus is Zahirite doctrine ,which was meant to flourish in it after its decay in the east and its beginning of decline . An acute zahirit mentality has emerged in Al Andalus , which strived for it and revived its origins and branches through text making , book writing ,and mainly through the figure of the Andalusian pioneer of Ibn Hazm doctrine .

This article searches in the history of this doctrine in the geography of Al Andalus and its surrounding , under the problematic of : how did Zahirite doctrine start in Al Andalus ,and how was it developed by Ibn Al Hazm and how it became after him ?

Key words :

Al Andalus , history , Doctrine , Zahirite , Ibn Hazm

توطئة:

تشكّلت الذهنية الفقهية في بلاد الأندلس وفق المذهب المالكي وتقولبت بمناهجه وأصوله، وحفظت النصوص من أقوال صاحب المذهب وتلامذته، وقد مثلت ذلك نصوص الموطأ والمدونة، وما أُلّف من بعد في بلاد المغرب والأندلس، وأكثرها شهرة المستخرجة لعبد الملك بن حبيب، والعتبية للعتبي.

غير أنّ الأندلس مع ذلك شهدت ظهور مذاهب أخرى، وذهنيات مخالفة، قاومت تصلّب المذهب المالكي، وتعصّب أصحابه، وأعطت لونا فقهيا مغايرا، ونمطا فكريا متنوعا، ومن هذه المذاهب التي صارعت المذهب المالكي المسيطر على دواليب السلطة وسلطان العقول المذهب الظاهري بإمامة الفقيه ابن حزم الأندلسي.

والمقال يحاول إشكالية تبحث في تاريخ الذهنية الأندلسية من خلال مذهبيتها، وفي تاريخ المذهب الظاهري من خلال تراجم بعض أعلامه. لتضع بين يدي الباحثين خريطة مذهبية صحيحة يستطيع البحث من خلالها التحليل والتفسير والتأسيس.

صورة المذهب المالكي في ذهنية الأندلسيين من خلال النصوص:

لم يكن المذهب المالكي مرافقا للفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، فكان أهل الأندلس لأوّل أمرهم على مذهب الأوزاعي⁽¹⁾، وهو مذهب الشاميين، لغلبة جند الشام على جيوش فتح الأندلس⁽²⁾، إذ لم يكن لغيرهم مذهب. ثمّ رحل من أهل الأندلس صمصعة بن سلام فتتلمذ على الأوزاعي وأدخل إلى الأندلس مذهب الأوزاعي، في أحكامه، ونصوصه. قال الحميدي: "صمصعة بن سلام أندلسي، فقيه من أصحاب الأوزاعي، وهو أوّل من أدخل الأندلس مذهب الأوزاعي"⁽³⁾.

وظلّت الأندلس تتفقّه على مذهب الأوزاعي طيلة عصر الولاة، وزمنا من عصر الإمارة، إلى عصر الحكم بن هشام (180-206هـ/ 796-822م) كما نصّ كتاب النفع للمقري⁽⁴⁾. ثمّ أخذت تتفقّه بمذهب الإمام مالك، إمام دار الهجرة. وفي أسباب دخول مذهب مالك إلى الأندلس، وعوامل انتشاره وتمكينه، قراءات وتفسيرات كثيرة، حملتها مصادر قديمة، ومراجع حديثة، أتينا عليها في بحث مستقل⁽⁵⁾.

وأدّت حركة الرحلة إلى المشرق ولقاء إمام المذهب والتتلمذ عليه، وحركة التأليف الفقهي المذهبي، إلى تمكين المذهب عند الأندلسيين، حتى اختلطت مفاهيمه بالذهنية الأندلسية، واصطبغت الحياة كلياً بالصبغة المذهبية المالكية، وتأثرت تأثراً بليغاً بآراء مالك وتلاميذه إلى درجة أنّ الأفكار المناسبة تجيء دائماً مصبوغة بلون مالكي، وتأخذ شكلاً واحداً⁽⁶⁾. "وبقي هذا المذهب غالباً بالأندلس والمغرب غلبة مطلقة"⁽⁷⁾.

وتكوّنت في الأندلس عصبية عميقة للمذهب المالكي، وبالع فقهائهم في إظهار تبعيهم لمالك وتلاميذه.

وكان أصبغ بن خليل (ت 273هـ/ 886م) وهو من فقهاء المالكية يتعصّب لآراء أصحاب المذهب ضدّ مسانيد الحديث. وجاء في ترجمته عند ابن الفريسي أنّه قال: "لئن يكون في تابوتي رأس خنزير أحبّ

(1) الأوزاعي عبد الرحمان بن عمرو (ت 157هـ/ 774م) إمام أهل الشام، لم يكن بالشام أعلم منه، رأساً في العلم والعمل، قيل أنّه أجاب في سبعين ألف مسألة. انظر: شمس الدين أبو العباس بن خلكان (ت 681هـ/ 1282م): وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت، دت، ج3، ص 127، وابن عماد شهاب الدين الحنبلي (ت 1089هـ/ 1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت 1406هـ/ 1986م، ج2، ص 257.

(2) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ط3، دار العلم للملايين، بيروت 1969، ج3، ص 27.

(3) محمّد بن قنّوح أبو عبد الله الحميدي (ت 488هـ/ 1095م): جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: بشّار عوّاد ومحمّد بشّار عوّاد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس 1429هـ/ 2008م، ص 350.

(4) أحمد بن محمّد التلمساني المقرّي (ت 1041هـ/ 1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت 1408هـ/ 1988م، ج3، ص 230.

(5) انظر: طاهر بن علي: عوامل الانتشار والتمكين للمذهب المالكي في الأندلس، مجلّة الدراسات التاريخية، ع 15-16، الجزائر 1434هـ/ 2013م.

(6) ليفي بروفنسال: الحضارة العربية في إسبانيا، تر: الطاهر أحمد مكي، ط2، القاهرة 1985، ص 150.

(7) عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983، ص 47.

إليّ من أن يكون فيه مسند أبي شيبة⁽¹⁾.

وهذا التعصّب منع الناس من الاختلاف إلى بقيّ بن مخلد، وكان وعاء من أوعية العلم والحديث⁽²⁾.

وكانت آراء أصحاب مالك مقدّمة لديه، محظية عنده، ولا يرقى إليه شيء من آراء أهل الحديث. وكانت اختيارات ابن القاسم تلميذ مالك مقدّمة على غيره من تلاميذ مالك، وهذا إمعان في التعصّب. جاء فيما يروى عنه أنّه قال لأحمد بن خالد وقد دخل عليه يوماً: "انظر إلى هذه الكوّة لكوّة كانت على رأسه في حائط بيته فقال له: نعم، فقال: والله الذي لا إله إلا هو لقد رددت منها ثلاثمائة دينار صحاحاً على أن أفتي في مسألة بغير رأي ابن القاسم ممّا قاله غيره من أصحاب مالك فما رأيت نفسي في سعة من ذلك"⁽³⁾. وبلغ به التعصّب أن "افتعل حدثنا في ترك رفع اليدين في الصلاة بعد الإحرام. ووقف الناس على كذبه فيه"⁽⁴⁾.

وهكذا كانت المدرسة المالكية في الأندلس، وقد لخص ابن حيّان المؤرّخ منهجها الفقهي رواية وصف فقال: "وإنّما كان الغالب على أهلها من قبل ذلك رأي مالك وأصحابه، والتفقه في المسائل المدوّنية"⁽⁵⁾. ومبلغ المفتي فيها من العلم ما رواه ابن حزم في كتابه الإحكام، فقال: حدّثني أبو الزناد سراج بن سراج، وخلف بن عثمان اليمام وأبو عثمان سعيد بن محمّد الضراب، كلّهم يقول: سمعت عبد الله بن إبراهيم الأصبلي يقول: قال لي الأبهري أبو بكر محمّد بن صالح: كيف صفة الفقيه عندهم بالأندلس؟ فقلت له: يقرأ المدوّنة وربّما المستخرجة، فإذا حفظ مسائلهما أفتى، فقال لي: هذا ما هو؟ فقلت له: نعم، فقال لي: أجمعت الأئمة على أنّ من هذه صفته لا يحلّ له أن يفتي"⁽⁶⁾.

وتحامل أبو بكر بن العربي، وهو مالكي متعصّب على منهج المالكية، وسقّهم بلفظه القويّ، فقال: "فقال -يعني ابن سهل- قال فلان الطليطي، وفلان المجريطي، وابن مغيث لا أغاث الله نداءه، وأناله رجاءه"⁽⁷⁾. وأنكر عليهم رفضهم كلّ تجديد، فقال: "فكلّما جاء أحد من المشرق بعلم دفعوا في صدره، وحقّروا من أمره، إلّا أن يتستّر عندهم بالمالكية، ويجعل ما عنده من علوم على رسم

(1) عبد الله بن محمّد أبو الوليد ابن الفرضي (403هـ/1012م): تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، د ط، تج: عزّت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة 1373هـ/1954م، ج1، ص 94.

(2) نفسه، ج 01، ص 94.

(3) برهان الدين إبراهيم بن علي ابن فرحون (ت 799هـ/1397م): تبصرة الحكّام في أصول الأقضية وأصول الأحكام، مطبوع على هامش فتح العلي المالك للشّيخ عليّش، د ط، مصر 1329هـ/1911م، ص 53.

(4) ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص 93.

(5) خلف أبو مروان بن حيّان (ت 469هـ/1076م): المقتبس، تج محمود علي مكي، بيروت 1973، ص 264.

(6) علي بن أحمد أبو محمّد بن حزم (ت 456هـ/1074م): الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد محمّد شاكر، ط 1، بيروت 1980، ج 5، ص 129.

(7) أبوبكر المعافيري بن العربي (ت 543هـ/1148م): العواصم من القواصم، تج عقار طالبي، ط 2، الجزائر 1981، ج 2، ص ص 492-493.

التبعية⁽¹⁾.

وفي مذهبية الأندلس يرد نصّان عند المقدسي يقول في أولهما: "أما في الأندلس فمذهب مالك وقراءة نافع، وهو يقولون لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك، فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه، وإن عثروا على معتزلي أو شيعي ونحوهما، ربّما قتلوه"⁽²⁾.

ويقول في الثاني: "...قلت فلم لم يفش بالأندلس؟ قالوا: لم يكن بالأندلس أقلّ منه ههنا، ولكن تناظر الفريقان يوما بين يدي السلطان، فقال لهم: من أين كان أبو حنيفة؟ قالوا: من الكوفة، فقال: مالك؟ قالوا: من المدينة، قال: عالم دار الهجرة يكفيننا، فأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة، وقال: لا أحبّ أن يكون في عملي مذهبان. وسمعت هذه الحكاية من عدّة من مشايخ الأندلس"⁽³⁾.

وعلى أنّ النصّ لا يتحلّى بالتصديق، ولا يتكسّى بالتحقيق، وقد أتينا على نقده في بحث سابق⁽⁴⁾، إلا أنّه من الحكايات المنفعلة بالأصداء، وهي الغالبة على القصص والحكايات الشعبية، والمستخلص منها جذر القضية، وهو تعصّب أهل الأندلس للمذهب المالكي.

وأما الونشريسي فيحمل لنا نصّا خطيرا حول اتّجاه المذهبية في الأندلس، فقال: "كتب الحكم المنتصر بالله إلى الفقيه أبي إبراهيم: "وكلّ من زاغ عن مذهب مالك، فإنّه ممّن رين على قلبه وزين له سوء عمله. وقد نظرنا طويلا في أخبار الفقهاء، وقرأنا ما صنف من أخبارهم إلى يومنا هذا، فلم نر مذهباً من المذاهب غيره أسلم منه. فإنّ فهم الجهمية والرافضة والخوارج والمرجئة والشيعية، إلا مذهب مالك، فإنّا ما سمعنا أنّ أحدا ممّن تقلّد مذهبه قال بشيء من هذه البدع، فالاستمسك به نجاة إن شاء الله تعالى"⁽⁵⁾.

وهذا نصّ له مكانته في تفسير وتحليل الذهنية الأندلسية، وموقعية المذهبية منها. ويرصد فهمه واستخلاص القيم المعرفية منه على نحو ما يمضي به علم الاجتماع السياسي وعلم الاجتماع الثقافي على حدّ سواء.

كما يبين عن النهج الذي سلكه الأمويون في حكمهم بلاد الأندلس، وهي بلاد تجاذب العصبية⁽⁶⁾. فاختيار الأمويين للمذهب المالكي جاء ضمن السياسة الواعية للحظة التاريخية. فقد

⁽¹⁾ نفسه، ج2، صص 490-491.

⁽²⁾ شمس الدين أبو عبد الله البشاري المقدسي (ح 390هـ/1000م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، د ت، ص 236.

⁽³⁾ نفسه، ص 237.

⁽⁴⁾ انظر طاهر بن علي، مرجع سابق.

⁽⁵⁾ أحمد بن يحيى أبو العباس الونشريسي (ت 914هـ/1508م): المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تح محمّد حبيّ وجماعة، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1401هـ/1981م، ج6، ص 357.

⁽⁶⁾ انظر سامية مصطفى مسعد: التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره على سقوط الأندلس، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية الإنسانية والاجتماعية، القاهرة 1424هـ/2004م، ص 27 وما بعدها.

أدركوا بفضل خبرتهم بالمشرق سنن الاجتماع والعمران البشري التي تحدّث عنها ابن خلدون فيما بعد. كما أدركوا دور الفكرة الدينية في بناء الحضارات، وبعث المجتمعات وتكوينها. وهي الفكرة التي أكّد عليها مالك بن نبي في دراساته الحضارية. كما أسّسوا بنيانهم على نهج مستقيم أو يكاد، وأقاموه على توجيه الطاقات والثقافات⁽¹⁾ توجيهاً يتماشى ومصالح الدولة والشعب. فربط المجتمع بالمشهد المالكى كان ربطاً روحياً صرفاً، لأنّ كلّ ما هو من المدينة المنورة يكتسب تقديساً، والتدين عموماً يقوم على ثلاث: الغيب والمحرم والمقدس⁽²⁾.

والخلاصة المركّبة من كلّ ذلك، بمنظور سوسيولوجي تستقرّ في الأخير في قضية استشكالية تركّز على بنية الإيديولوجيا في المجتمع الأندلسي، وتتشكّل في معادلة المذهب- العقد الاجتماعي. أي هل كان المذهب هو الذي يجمع السلطة والرعية في مجتمع تتجاذب فيه العصبية بقوة التمرّك الإداري من جهة، واستراتيجية الجغرافيا من جهة أخرى، وضغط الديمغرافيا من جهة ثالثة؟.

فيمكن لنا القول أنّ الأندلسيين استطاعوا أن يمزجوا بين العصبية والفكرة الدينية، وأحدثوا ما يسمّى في العصر الحديث بالإيديولوجيا، التي هي مجموع الرؤى والتصورات للحياة والمجتمع، من خلال المذهب المالكى الذي تبوّه، وجعلوا من أحكامه مجموع المنظومة الفكرية التي تحتوي الفرد والمجتمع ضمن كلّ علاقاته، الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية.

الدراسات الإسلامية غير المالكية وتوجيه العقل الفقهي:

"الظاهر هو ما سبق إلى فهم سامعه معناه من لفظه، ولم يمنعه من العلم به من جهة اللفظ مانع"⁽³⁾. وعند الظاهرية الذين اشتقّ اسمهم منه، للدلالة على منهجهم في سبك الفقه، ورقطه، يكون اتّباع الظاهر فرض⁽⁴⁾، لا يحلّ تعديبه⁽⁵⁾، ومن ترك ظاهر اللفظ وطلب المعاني لا يدلّ عليها لفظ الوحي الوحي فقد افترى على الله عزّ وجلّ⁽⁶⁾، وأنّ صاحب الشريعة "لا يتأوّل شيئاً من القرآن، إلّا بوجي فيخرجه من الظاهر إلى التأويل"⁽⁷⁾.

ومن هذا السبيل جاء تعريف ابن خلدون للظاهرية على النحو التالي: "أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به، وهم الظاهرية، وجعلوا المدارك كلّها منحصرة في النصوص والإجماع، وردّوا القياس الجلي والعلّة المنصوصة إلى النصّ، لأنّ النصّ على العلة نصّ على الحكم في جميع محالها"⁽⁸⁾.

(1) مالك بن نبي: شروط النهضة، ط3، دار الفكر، بيروت 1963، ص 88، ومشكلة الثقافة، ط4، دار الفكر، بيروت 1984، ص 79 وما بعدها.

(2) جيب علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، ترعادل العوّا، ط1، دار عويدات، بيروت 1977، ص 19 وما بعدها.

(3) سليمان بن خلف أبو الوليد الباجي (474هـ/1081م): المهّاج في ترتيب الحجّاج، تح عبد المجيد التركي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2001، ص 16.

(4) ابن حزم، المصدر السابق، ج3، ص 42.

(5) نفسه، ج3، ص 43.

(6) نفسه، ج3، ص 43.

(7) نفسه، ج3، ص 44.

محالها⁽¹⁾.

فإذا كان هذا هو ما ينهجه أهل الظاهر في تحرير الأحكام، فوجب بالضرورة أن تكون لديهم النصوص بوفرة وبسط، فليس لديهم بمجال القياس والنظر تحرير للمسائل. لذلك لا تقوم لهم قائمة في بلاد الأندلس المالكية التي اشتهرت بحفظ أقوال مالك وتلاميذه، وألفت كتب المسائل المحفوظة، لولا طائفة من أهل العلم رحلت إلى المشرق، وعادت بأوقار المسانيد، وأدخلتها الأندلس.

ولسنا نستقصي كلّ الروايات والتراجم الدالة على رحلة كتب الحديث، وكتب واختلاف الفقهاء إلى الأندلس⁽²⁾، ولكن نشير إلى من كان لهم الدور الأكبر في ذلك، وعندهم انتشر علم الحديث في الأندلس⁽³⁾.

وعلى رأس هؤلاء بقيّ بن مخلد (ت276هـ/889م)، قال عنه ابن الفريسي: "رحل إلى المشرق، فلقي جماعة من أئمة المحدثين، وكبار المسندين... ومما انفرد به بقيّ بن مخلد ولم يدخله سواه: مصنف أبي بكر بن أبي شيبه رحمه الله بتمامه... ولبيقيّ بن مخلد تفسير القرآن ومسند النبي صلى الله عليه وآله وسلم"⁽⁴⁾.

وقال عنه صاحب النفح: "الحافظ أحد الأعلام... وعني بالأثر عناية عظيمة لا مزيد عليها، وعدد شيوخه مائتان وأربعة وثلاثون رجلاً... وكان إماماً... مجتهداً، لا يقلّد، بل يفتي بالأثر"⁽⁵⁾.

وقال ابن حزم عن تأليفه: "ومنها في الحديث مصنفه الكبير، الذي رتبّه على أسماء الصحابة رضي الله عنهم، فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صحب ونيف. ثم رتب حديث كلّ صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام. فهو مصنف ومسند، وما أعلم هذه الرتبة لأحد من قبله، مع ثقته، وضبطه، وإتقانه، واحتفاله في الحديث، وجودة شيوخه، فإنّه روى عن مائتي رجل وأربعة وثمانين رجلاً ليس فيهم عشرة ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير"⁽⁶⁾.

وروى ابن الفريسي في فضل هذا المصنف، فقال: "أخبرنا أبو عمر بن عبد البصير قال: حدثنا خالد بن سعد قال: سمعت طاهر بن عبد العزيز يقول: حملت مع نفسي جزءاً من مسند أبي عبد الرحمان بقيّ بن مخلد إلى المشرق فأريته محمّد بن إسماعيل الصائغ فقال: ما اغترف هذا إلّا من بحر

(1) عبد الرحمان بن محمّد ابن خلدون (808هـ/1432م): مقدّمة ابن خلدون، تج عبد الله محمّد الدرويش، ط1، دار البلخي، دمشق 2004، ج2، ص186.

(2) كلّ من لديه ذهنية فقهية يدرك أنّ مادة اختلاف الفقهاء تحتوي قدراً كبيراً من النصوص، وذلك للاستشهادات القائمة في المدارس والمدارك الفقهية.

(3) لاستقصاء المعرفة بمدرسة الحديث في الأندلس ينظر: مصطفى محمّد حميداتو: مدرسة الحديث في الأندلس، ط1، دار ابن حزم، بيروت 1428هـ/2007م.

(4) ابن الفريسي، المصدر السابق، ج1، صفحات 107-109.

(5) المقرئ، المصدر السابق، ج2، ص518.

(6) ابن حزم: فضائل الأندلس وأهلها، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط1، بيروت 1968، ص13.

علم. وعجب من كثرة علمه"⁽¹⁾.

وقال ابن حزم كذلك: "ومنها مصنفه في فضائل الصحابة والتابعين ومن دونهم"⁽²⁾، الذي أرى فيه على مصنف أبي بكر بن أبي شيبة، ومصنف عبد الرزاق بن همام، ومصنف سعيد بن منصور، وغيرها. وانتظم علما عظيما لم يقع في شيء من هذه، فصارت تأليف هذا الإمام الفاضل قواعد الإسلام لا نظير لها"⁽³⁾.

ورغم أن فقهاء المالكية أنكروا عليه، وألبوا عليه الناس، وأغروا به السلطان، وصاروا يستثيرون الأمير محمد بن عبد الرحمان عليه⁽⁴⁾، فاستدعاه، وسمع منه، ونظر في مسند بن أبي شيبة، شيبة، ثم قال لخازن كتبه: "هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه، فانظر في نسخه لنا، وقال لبقّي: انشر علمك، وارو ما عندك، ونهاهم أن يتعرضوا له"⁽⁵⁾. "فنشر حديثه، وقرأ للناس روايته، فمن يومئذ انتشر الحديث بالأندلس"⁽⁶⁾.

ولابد أن يعزى الفضل في انتشار الحديث واختلاف الفقهاء بين الناس، ورواج الآراء المخالفة لأقوال تلاميذ مالك لبقّي بن مخلد وغيره من العلماء، ولأمير محمد بن عبد الرحمان كذلك، الذي مدّ الرعاية له، ولقاسم بن محمد بن سيّار داعية المذهب الشافعي في العاصمة الأندلسية⁽⁷⁾.

ملا بقي بن مخلد الأندلس حديثا ورواية⁽⁸⁾، وبه وبأمثاله توسّع أهل الأندلس في الحديث، وأصبحت بلادهم دار حديث، ومعدن سنّة⁽⁹⁾. وقد كان الغالب على أهلها من قبل ذلك رأي مالك وأصحابه.

ومثله محمد بن وضّاح (287هـ/900م)، قال عنه ابن الفريسي: "كان محمد بن وضّاح عالما بالحديث، بصيرا بطرقه متكّما على علله...سمع منه الناس الكثير، ونفع الله به أهل الأندلس"⁽¹⁰⁾. وقال عنه الحميدي: "من الرواة الكثيرين، والرواة المشهورين. رحل إلى المشرق، وطوّف البلاد في طلب العلم...وحدث بالأندلس مدة طويلة، وانتشر عنه بها علم جم"⁽¹¹⁾. وقال ابن حجر في اللسان:

⁽¹⁾ ابن الفريسي، المصدر السابق، ج1، ص 108.

⁽²⁾ أهل صناعة الحديث يدركون العلاقة بين فضائل الصحابة والتابعين وإيراد النصوص الحديثية، لذلك فالكتاب فيه من النصوص الكثير.

⁽³⁾ نفسه، ج 01، ص 108..

⁽⁴⁾ أنخل جنثالث بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترحين مؤنس، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1955، ص 407.

⁽⁵⁾ المقرئ، المصدر السابق، ج2، ص 519.

⁽⁶⁾ ابن الفريسي، المصدر السابق، ج1، ص 108.

⁽⁷⁾ ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 159.

⁽⁸⁾ ابن الفريسي، المصدر السابق، ج1، ص 108.

⁽⁹⁾ ابن حيّان، المصدر السابق، ص 264.

⁽¹⁰⁾ ابن الفريسي، المصدر السابق، ج1، ص 18.

⁽¹¹⁾ الحميدي، المصدر السابق، ص 140.

"الحافظ، محدّث الأندلس مع بقيّ بن مخلد"¹. وبه وبقيّ "صارت الأندلس دار حديث وإسناد، وإنّما كان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأي مالك وأصحابه"⁽²⁾.

ومع هذين العلمين تبرز شخصية تلميذهما قاسم بن أصبغ (ت 340هـ/ 951م)، الحافظ الكبير⁽³⁾، إمام من أئمة الحديث، حافظ مكثّر مصنّف⁽⁴⁾. "سمع بقربة...ورحل إلى المشرق...فسمع بمكة...وسمع بمصر...وانصرف إلى الأندلس بعلم كثير، ومال الناس إليه...وطال عمره فسمع منه الشيوخ، والكمهول، والأحداث. وألحق الصغار الكبار في الأخذ عنه. وكانت الرحلة في الأندلس إليه، وفي المشرق إلى أبي سعيد بن الأعرابي"⁽⁵⁾. "صنّف مستخرجا على أبي داود، وكتابا نظير المنتقى لابن الجارود، وكتابا في أحكام القرآن"⁽⁶⁾.

انتهى إليه علو الإسناد بالأندلس مع الحفاظ والإتقان..وأثنى عليه غير واحد، وتوالت عليه حزم، وابن عبد البرّ، وأبي الوليد الباجي طافحة بروايته⁽⁷⁾. ومما انتشر من المصنّفات وقرئت بإملائه، مصنّف مصنّف وكيع بن الجراح⁽⁸⁾. كما "صنّف على كتاب السنن لأبي داور كتابا في الحديث...ثم اختصر مصنّفه في السنن وسمّاه المجتبى... وفيه من الحديث المسند ألفان وأربعمائة وتسعون حديثا في سبعة أجزاء"⁽⁹⁾.

بدايات المذهب الظاهري في الأندلس:

لا يمكن للعقل الفقهي الظاهري أن يتفتّح بالخطاب، وينشئ المقالة، ويحرّر المسألة إلا انطلاقا من وفرة النصّ، فالنصّ عند الظاهرية هو أصل الأصول. فلا تحرير بالقياس، ولا بالاستحسان، ولا بالرأي، ولا بالتعليل⁽¹⁰⁾. وإنّما أصول الفقه ثلاثة: قرآن، وسنة⁽¹¹⁾، وإجماع. والقرآن والخبر عند

(1) ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ/ 1448م): لسان الميزان، تح عبد الفتّاح أبو غدة، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت 1423هـ/ 2002م، ج7، ص 567.

(2) ابن الفريسي، المصدر السابق، ج1، ص 18.

(3) ابن حجر، المصدر السابق، ج6، ص 367.

(4) الحميدي، المصدر السابق، ص 487.

(5) ابن الفريسي، المصدر السابق، ج1، ص 407.

(6) ابن حجر، المصدر السابق، ج6، ص 368.

(7) الذهبي شمس الدين محمّد بن أحمد (ت 748هـ/ 1374م): سير أعلام النبلاء، تح شعيب الأرنؤوط وإبراهيم الزبيق، ط 11، مؤسسة الرسالة، بيروت 1417هـ/ 1996م، ج15، ص 473.

(8) الحميدي، المصدر السابق، ص 141.

(9) المقرئ، المصدر السابق، ج2، ص 48.

(10) بسط ابن حزم ذلك في مدوّناته الكبرى، وأفرّد لها رسائل خاصّة. انظر:

- ابن حزم: ملخّص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل، تح سعيد الأفغاني، د ط، مطبعة جامعة دمشق، دمشق 1379هـ/ 1960م.

- ابن حزم: النبهة الكافية في أحكام أصول الدين، تح محمّد أحمد عبد العزيز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1405هـ/ 1985م.

(11) ابن حزم، الإحكام، ج1، ص 95 وما بعدها.

الظاهريّة شيء واحد⁽¹⁾، يمثّل النصّ الذي يردّ إليه ويطاع في تحرير العلم، و"أنّ العلم يتعلّق دائماً بخبر، وأنّ عقل هذا العلم هو استحضار خبر حول حال أو حادث، وهو ما يعرف بالنصّ"⁽²⁾.

فالدراسات الحديثية بما وقّرت من نصوص الأثر، رسمت خطأ منهجياً في الدراسات الفقهيّة، حيث جعلتها تعتمد على الأثر، وتخالف الدراسة المالكية الأندلسية التي تقوّلت في أقوال مالك وتلاميذه. وكانت مادّة المذهب الظاهري التي يعتمد عليها في تحرير مسائله.

انتقل المذهب الظاهري إلى الأندلس على يد عبد الله بن محمّد بن قاسم بن هلال (ت 272هـ/ 886م)، الذي أجمعت الروايات على أنّه أوّل فقيه ظاهري أدخل فقه الظاهر إلى الأندلس في عهد الأمير محمّد الأوّل، الذي عرف بالتسامح والتفتّح على كلّ المذاهب والأفكار، وكان عصره عصر الفقه المقارن على يد بقيّ بن مخلد.

"رحل ودخل العراق، ولقي أبا سليمان داود بن سليمان القيّاسيّ: فكتب عنه كتبه كلّها، وأدخلها الأندلس، فأخلّت به عند أهل وقته"⁽³⁾. وكان يميل إلى القول بالظاهر⁽⁴⁾، غلب عليه علم داود. والحاصل من رواية ابن الفريسي أنّ عبد الله بن محمّد بن قاسم بن هلال لم يتمكّن من نشر مذهبه، فلم تثبت كتب التراجم الظاهر على أحد تأثّره.

ذلك أنّ الدعوة إلى مذهب جديد، أو خطّ فكري أو منهجي في بيئة محافظة كالأندلس، تحتاج إلى جهد كبير، وذهنية علمية واسعة، حتّى تستطيع التبليغ من جهة، والدفاع من جهة أخرى، خصوصاً أنّ البيئة الأندلسية تنفي كلّ الخصائص والظروف التي تظنّ أنّها تحمل الحياة لمثل هذه الأفكار والمناهج، رغم تسامح السلطة معها.

ومن استقراء تراجم تلاميذ عبد الله هذا يتبيّن لنا أنّه لم تكن له القدرة على إيصال منهجه إلى الناس، وإنّما حصلت لهم رواية الحديث فحسب. فهذا تلميذه محمّد بن عبد الملك بن أيمن وتلميذه قاسم بن أصبغ يعدّان في أهل الحديث، ولا يعدّان في أهل الفقه⁽⁵⁾. ودليل ذلك قول ابن حزم: "... ومنها في الحديث، مصنّف ابن محمّد قاسم بن أصبغ بن يوسف بن ناصح، ومصنّف محمّد بن عبد الملك بن أيمن. وهما مصنّفان رفيعان احتويا من صحيح الحديث وغريبه ما ليس في كثير من المصنّفات"⁽⁶⁾.

هذا عن المذهب الظاهري في القرن الثالث الهجري، وهو قرن انتشار المذاهب الفقهيّة والكلامية

(1) نفسه، ج 1، ص 98.

(2) عبد الله العروي: مفهوم العقل، ط 3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2001، ص 86.

(3) ابن الفريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 257.

(4) أحمد بن عميرة الضبيّ (ت 599هـ/ 1203م): بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح إبراهيم الأبياري، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1410هـ/ 1989م، ص 453.

(5) بالنشأ، المرجع السابق، ص 439.

(6) ابن حزم، فضائل الأندلس، ص 13.

في الآفاق، وبحثها عن جغرافيات الاستقرار والاستيلاء. فالمذاهب مشرقية المنبت، مغربية العمران. ولا تسعفنا كتب التراجم بمعرفة عن تاريخ المذهب الظاهري بعد عبد الله بن محمد؛ أي في النصف الثاني للقرن الثالث.

ولسنا ندري أكتب التراجم غفلت عن ذكر أهل الظاهر، أم أنّ عقول الناس غفلت عن المنهج الظاهري.

لذلك لا يظهر له أثر حتى تبرز شخصية منذر بن سعيد البلّوطي (ت 365هـ/ 966م). وهو أول منافع في سبيل المذهب الظاهري بالأندلس¹، إذ "كان مذهبه في الفقه مذهب النظار والاحتجاج، وترك التقليد، وكان عالماً باختلاف العلماء، وكان يميل إلى رأي داود بن عليّ بن خلف العبّاسي، ويحتجّ له"²، "ويجمع كتبه، ويحتجّ لمقالاته، ويأخذ به في نفسه وذويه، فإذا جلس للحكومة قضى بمذهب الإمام مالك وأصحابه، وهو الذي عليه العمل بالأندلس، وحمل السلطان أهل مملكته عليه"³.

وقد ساعدت شخصية منذر بن سعيد البلّوطي الكاريزماتية الممتلئة بالمعارف⁴، والفنّيات⁵، والحاضرة بالمواقف الثابتة⁶، إذ كان لا يخاف في الله لومة لائم⁷، مع المتانة والجزالة⁸، كلّ ذلك مع مع العلم الوفير، والمركز الكبير، والبلاغة، جعله يكون منافعاً عن المذهب الظاهري، ويجتهد في إذاعة مبدأ دراسة الأصول في حرية- وهو الذي قال به داود⁹.

ولا تسعفنا كتب التراجم في معرفة كلّ الذين تأثروا بالمنهج الظاهري، فهي على قدر عطائها المعرفي، تجحف في حقّ المترجمين، لأنّها سرديات خاضعة لمنهج خاصّ، وفكرة معيّنة.

ونرى أنّ فيها من الانتقاء، ومن المبالغة ما يغشي أبصارنا عن حقائق الأمور. ورغم ذلك تبقى موردنا في تقصي تاريخ الأفكار والذهنيات.

ولا نجد في كتب التراجم ما يمنحنا الإيحاء إلى وجود فقهاء للظاهر بمكانة عبد الله أو مكانة منذر بن سعيد، كما لا نجد تكتلات للطلبة والمريدين، كما نجده في المشرق. ولذلك نشعر دوماً ونحن نبحت في الذهنية الأندلسية أنّنا مراقبون من طرف المالكية، وأنّ للمالكية أسواراً من الحرس والجنود تملأ كتب التراجم. فلا يمكننا إلا أن نستصحب الشعور بالهيمنة المالكية على مسار تاريخ العقل في

¹ بالنشأ، المرجع السابق، ص 439.

² ابن الفرضي، المصدر السابق، ج 2، ص 143.

³ المقرئ، المصدر السابق، ج 2، ص 21.

⁴ يقصد بها العلوم.

⁵ يقصد بها الآداب.

⁶ كتب التراجم حافلة بذلك.

⁷ المقرئ، المصدر السابق، ج 2، ص 16.

⁸ المقرئ، المصدر السابق، ج 2، ص 17.

⁹ بالنشأ، المرجع السابق، ص 439.

الأندلس، ولا يشبهها في ذلك إلا بعض ملامح الحنابلة في بغداد.

هذه الهيمنة المالكية أخذت صوراً عديدة، تبنّاها الفقهاء حرزاً للدين، وصونا للجماعة⁽¹⁾، وتبنّاها الحكّام إيديولوجية من أجل القبض بشدّة على تلايب المجتمع، وضمان تحيّر طبقة الفقهاء إلى قراراتهم وتبني اتجاههم في السلطة.

وقد اتفق أن صارت سلطة الحاكم وسلطة الفقهاء واحدة بتغلّب المنصور بن أبي عامر على تدبير ملك الأندلس في عهد هشام المؤيّد بالله، "وهو يومئذ غلام لا يحتلم بعد"⁽²⁾، فشهدت مرحلته حركة فقهية مالكية عنيفة، فخفتت أصوات العلوم والاتجاهات المعرفية غير المالكية، أو التي يرتضها المالكية.

ثمّ تغيّرت الأحوال، وانتكست الدولة العامرية، وآل نجم الخلافة الأموية إلى الأفول، وبرزت إلى التاريخ أحوال، كما تبرز إلى الجسد أحوال، فتغيّرت الأندلس، وأعادت الاشتغال بالعلوم، ومحاولة كلّ أصنافها، وعادت معها الخيارات الفقهية غير المالكية⁽³⁾، ومنها المذهب الظاهري. وظهر في هذا العصر الفقيه أبو الخيار مسعود بن مفلت (ت 426هـ/ 1034م).

قال عنه في الجندوة: "فقيه عالم زاهد، يميل إلى الاختيار والقول بالظاهر، ذكره عليّ بن محمّد، وكان أحد شيوخه"⁽⁴⁾. وقال ابن بشكوال نقلاً عن ابن حيّان أنّه كان "داودي المذهب، لا يرى التقليد"⁽⁵⁾. وانصرف إلى إذاعته في قرطبة⁽⁶⁾.

ومن كلّ ما عرضنا من خلال ما حملت كتب التراجم، تبين أنّ المذهب الظاهري ظلّ يتظاهر عبر شخصيات تميل إلى الأخذ به، وربّما تحتجّ له في استدلالاتها، لكنّها لم تحرّر فيه المقالة، ولم تدوّن فيه الكتب، ولم تبسط فيه المنهج. لذلك نستطيع بمفاهيم التحقيق التاريخي أن نقول أنّ هذا المرحلة هي مرحلة نشوء المذهب في الأندلس، وقد طالّت فترة نشوئه للظروف الصعبة التي فرضها المالكية في الأندلس.

ابن حزم الأندلسي رائد المذهب الظاهري:

لا يمكننا أن نعتبر ابن حزم (ت 456هـ/ 1064م) رائداً للمذهب الظاهري حتّى نقرّر فيه الأدوات

(1) إنّنا في هذا نعرض تاريخاً بعيداً عن الاتفاق أو الاختلاف. ونقول إنّ هذه الظاهرة تحتاج إلى رصد سوسيولوجي، ورصد سوسيوديني لكي نجلي الحقيقة أو نكاد.

(2) صاعد بن أحمد أبو القاسم (ت 462هـ/ 1069م): طبقات الأئمّة، تح الأب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1912، ص 66.

(3) كلّ ما نقوله بخصوص مالكية الأندلس فهو نسبي ممّا استقرّأناه، لأنّنا على مرّ العصور نجد أنّ المالكية جزء مكوّن للشخصية الأندلسية إلى سقوط غرناطة.

(4) الحميدي، المصدر السابق، ص 516.

(5) خلف بن عبد الملك أبو القاسم ابن بشكوال (ت 578هـ/): الصلّة، تح بشّار عوّاد معروف، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2010، ج 2، ص 257.

(6) بالنشأ، المرجع السابق، ص 441.

التي تؤهله لذلك، ونذكر المزايا التي اختصّ بها دون غيره من علماء الظاهرية والدعاة إليه.

وأول ما اختصّ به ابن حزم هو إحياءه للمذهب الظاهري بعدما أوشك على الزوال، وبعثه من جديد مذهباً فقهياً له أصوله وفروعه مدوّنة ومدرّسة، يستطيع كلّ من اهتمّ بالمذهب الظاهري أن يعود إليها. والفقهاء المهتمّون بالفكر الفقهي عامّة، لا يجدون فكر الظاهرية إلا في كتب ابن حزم. فلم يحفظ عن أحدهم بسط علم الظاهرية كما بسطه ابن حزم في مدوّنات عظيمة.

قال المستشرق ليفي بروفنسال: "وأوشك المذهب الظاهري، ويقع في الطرف المقابل لكلّ المذاهب السنيّة الأخرى، أن يتلاشى في قرطبة شأن المذهب الشافعي، غير أنّه وجد أخيراً في شخص ابن حزم نصيراً قوياً، ناضل المذهب المالكي في سبيله، بقوة وشرف، وعلى أرض وطنه نفسها"⁽¹⁾.

أمّا الخاصيّة الثانية فهي استقلاليتها التامة، التي كان يتمتع بها، ولم يكن -وهو الراض للتقليد- أن يتّبع شيخ المذهب في كلّ ما جاء به، وهي الخاصيّة التي بوّأتها مكانة مرموقة ضمن فقهاء المذهب. قال أبوزهرة: "ثمّ هو في القواعد والفكر، والتوسّع في الدراسة حامل لواء مستقلّ، وليس تابعا لأحد"⁽²⁾.

أمّا الخاصيّة الثالثة فهي تثبيته لدعائم المذهب الظاهري، وهي خاصيّة ذات أهميّة، لأنّها تدلّ على قوّة صاحبها ومضائه في الدعوة إلى مذهبه. قال بروكلمان: "وعلى الرغم من أنّه لم ينجح في التمكين لمذهبه، فليس من شكّ في أنّه قد كانت لهذا المذهب آثار مستهضة في وسط التحجّر الذي استولى على الحياة الدينية في الأندلس"⁽³⁾.

أمّا الخاصيّة الرابعة فكونه استطاع أن يهب للمذهب كلّ جهوده، ولكن بطريقة جعلته يكون هوزعيم هذا المذهب بدون منافس. قال أحمد أمين: "وقد نبغ في تخريج المذهب الظاهري نبوغاً جعله إماماً يقتدى به، حتّى عدّ صاحب مذهب ظاهري"⁽⁴⁾، وعرف أصحابه بالحزمية، وكان له أتباع على هذا هذا المذهب"⁽⁵⁾.

هذه بعض مزايا ابن حزم، التي جعلته بحقّ رائد المذهب الظاهري ليس في الأندلس فحسب، بل حتّى في المشرق. فقد كان يذكر داود مؤسس المذهب الأوّل ثمّ يذكر ابن حزم بعده. فكأنّما اجتمعا ليخرجا هذا المذهب، ولو بعدت بينهما المسافة، وطال بينهما الزمن، واختلفت لديهما الأعصر، وتباينت الأصقع.

⁽¹⁾ ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 163.

⁽²⁾ محمّد أبوزهرة: ابن حزم حياته وعصره -آراؤه وفقهه، ج ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت، ص 12.

⁽³⁾ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترميز البعلبكي ونبية أمين فارس، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت 1968، ص 314.

⁽⁴⁾ ثبت هذا من أجل الاستلال فحسب، ونؤمن أنّ الكثير من الكتاب الذي تحدّثوا عن ابن حزم والمذهب الظاهري لم يكونوا يدركون كنهه الاجتهاد في المنهج الظاهري.

⁽⁵⁾ أحمد أمين، المرجع السابق، ج 3، ص 63.

وما ذاك إلا للتأليف التي بسطها ابن حزم، وأودع فيها منهج أهل الظاهر، فلسنا نجد كتباً نستدلّ منها على أقوالهم غير ما تركه ابن حزم. وهي تأليف احتوت على كلّ المعارف الدينية التي يحتاجها المسلم ليتمثل دينه في جزئيات حياته، فكرياً، وعملياً. كما حملت صورة التطبيق العملي للمنهج الظاهري كما تبناه ابن حزم وأظهره في نصوصه.

وما من شك في أنّ ابن حزم التزم المنهج الظاهري لونا لفكره كلّ، وأدّى إخلاصه لمنهجه أن كان يحكم على كلّ شيء بظاهره، ولو في غير المسائل الفقهية والعقائدية؛ يعني المسائل الدينية. وقد أورد صاحب "الذخيرة" وصاحب "نفح الطيب" أبياتاً تصحّ أن تكون تقريراً منه على اتّباع الظاهر في كلّ اتّجاهات خواتمه، فيكون الظاهر أصلاً في نظره. قال ابن حزم⁽¹⁾:

وذي عدل في من سباني حسنه*** يطيل ملامي في الهوى ويقول:

أفي حسن وجه لاح، لم تر غيبه*** ولم تدركيف الجسم أنت قتيل⁽²⁾

فقلت له: أسرفت في القول ظالماً*** وعندي ردّ لو أردت-طويل

ألم تر أنّي ظاهريّ، وأنّني*** على ما بدا حتّى يقوم دليل

بهذه النفسية المتفاعلة بالظاهر مبدأً عقلياً في تمثّلات المعرفة، ورؤية ثقافية في تمثّلات الحياة، وجد المذهب الظاهري في ابن حزم خير رائد له، فانتشر في عهده انتشاراً لم يشهده من قبل، ولا من بعد.

أخذ تحرير النصّ عند ابن حزم قسطاً وافراً من اهتمامه، فكما أنفق السنوات في تحصيل العلوم، اجتهد كذلك في وضع الكتب في شتّى المجالات؛ في العلوم الشرعية، وعلوم الفلسفة، والأدب، وغيرها. وترك لنا مصنّفات عديدة، وكتباً جمة، بلغت كما قال ابنه الفضل: "أربع مائة مجلّد تحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة"⁽³⁾.

وفي ذكر مصنّفاتهِ⁽⁴⁾ يقول الذهبي: "وكان لأبي محمّد كتب عظيمة لاسيما كتب الحديث والفقه. وقد صنّف كتاباً كبيراً في فقه الحديث سمّاه الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام والحلال والحرام والسنة والإجماع. أورد فيه أقوال الصحابة فمن بعدهم والحجة لكل قول، وهو كبير جدّاً. وله كتاب الإحكام في أصول الأحكام مجلّدان، وكتاب المجلّي في الفقه على مذهبه واجتهاده، وشرحه هو المحلّي وهو في ثمان مجلّدات. وكتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل ثلاث

(1) أبو الحسن عليّ بن بسّام الشنتريني (ت 542هـ/ 1147م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تج إحسان عباس، د ط، دار الثقافة، بيروت 1417هـ/ 1997م، م 01، ص 175.

(2) وأما المقرّي فيرويه بلفظ آخر. انظر النفح، ج 2، ص 82.

(3) شمس الدين محمّد أبو عبد الله الذهبي (ت 748هـ/ 1348م): تذكرة الحفاظ، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ج 03، ص 1147.

(4) للتوسّع في معرفة ما ترك ابن حزم الظاهري ينظر عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ط 2، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1409هـ/ 1988م.

مجلّدات. وكتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للكتابين التوراة والإنجيل. وكتاب التقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بألفاظ أهل العلم لا بألفاظ أهل الفلسفة، ومثله بالأمثلة الفقهية⁽¹⁾.

وكانت كتبه في غاية التقصّي وإيراد الحجج⁽²⁾. وبكتبه "حفظ علوم الدين، وأربى على أهل كلّ دين"⁽³⁾. و"لم يعرف الجمهور أكثر من أنّه أكبر علماء الأندلس في عصره، ومن أشهر أئمّة الإسلام وأعرفهم بالمذاهب الفلسفية والدينية التي تأصّلت جذورها عند علماء المسلمين. وكتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل كان ولا يزال أهمّ المراجع لعلوم الفلسفة ومذاهب التوحيد"⁽⁴⁾.

ورغم كلّ الذي تعرّض له ابن حزم من فقهاء المالكية الذين كانوا يتعبّدون الله بالتعصّب لأقوال مالك وأصحابه، والدفع في صدر كلّ من خالفهم، إلّا أنّه مضى "غير مرتدّع ولا راجع إلى ما أرادوا به، يبتّ علمه فيمن ينتابه من بادية بلده من عامّة المقتبسين منهم من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة، يحدّثهم ويفقّهم ويدارسمهم، ولا يدع المثابرة على العلم، والمواظبة على التأليف والإكثار من التصنيف حتّى كمل من مصنّفاته في فنون العلم وقربيع، لم يعد أكثرها عتبة باديته لتزويد الفقهاء طّالاب العلم فيها حتّى لأحرق بعضها بإشبيلية ومزّقت علانية، لا يزيد مؤلّفها إلّا بصيرة في نشرها وجدالا للمعاندة فيها، إلى أن مضى لسبيله"⁽⁵⁾.

وممن شهر بمناظرته أبو الوليد الباجي (ت 474هـ/1081م)، وقد اشتهرت مناظراتهما، غير أنّنا لم نعثر على نصوص تؤرّخ لهما، أو تثبت مناهج الأدلّة في جدال الخصم. وقد انبرى عبد المجيد التركي فألّف كتابا في مناظرتيها انطلاقا من كتبهما، فهو مقابلة، وليس مناظرة⁽⁶⁾.

وأخران عملا على دحض أفكار ابن حزم، ودفن مذهبه، الأوّل محمّد بن سعيد الميورقي، وفي ترجمته قال ابن الأثير: "...وصدر إلى ميورقة وقعد لإقراء الفقه والأصول، فلمّا دخلها أبو محمّد بن حزم كتب ابن سعيد هذا إلى أبي الوليد الباجي، فصار إليه من بعض سواحل الأندلس، وتضافرا جميعا عليه، وناظراه فأفحماه وأخرجاه منها وكان سبب العداوة بين الباجي وابن حزم..."⁽⁷⁾.

والثاني أبو الوليد بن البارية، قال القاضي عياض: "من فقهاء ميورقة، من أهل هذه الطبقة المشهورين بها المتقدّمين. وله مع أبي محمّد بن حزم مناظرة في اتّباع مالك، تعصّب فيها عليه ابن حزم

(1) الذهبي، التذكرة، ج3، ص 1146.

(2) الحميدي، المصدر السابق، ص 450.

(3) الذهبي، التذكرة، ج3، ص 1148.

(4) زكي مبارك: النثر الفصيح في القرن الرابع الهجري، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة 2012، ص 519.

(5) ياقوت الحموي الرومي (626هـ/1229م): معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح إحسان عبّاس، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993، ص 1655.

(6) عبد المجيد التركي: مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، تر عبد الصبور شاهين، ط 01، بيروت 1986.

(7) محمّد بن عبد الله بن أبي بكر بن الأثير (ت 658هـ/1260م): التكملة لكتاب الصلة، تح عبد السلام الهزاس، ط ، دار الفكر، بيروت 1405هـ/1995م، ج1، ص 216.

حتى حمل على سجنه واستهانته"⁽¹⁾.

ولم يجد ابن حزم المواساة إلا عند تلاميذه، ولم تكن لهم شوكة، بل لم يكونوا كالحنابلية في الشرق، أو غيرهم، وعند صديقه ابن رشيق صاحب ميورقة مجاهد بن عبد الله العامري. قال في الحلة السيرة: "وهو أوى الفقيه أبا محمد بن حزم، حين نعي عليه بقرطبة وغيرها خلاف مذهب مالك. وبين يديه تناظر هو والقاضي أبو الوليد الباجي"⁽²⁾.

كان عهد ابن حزم العصر الذهبي للمذهب الظاهري إذ انتشر في جزيرة ميورقة وما جاورها، ثم بدأ ينتقل إلى بلاد الأندلس والمغرب والشرق. وعلى يديه تطورت الحركة المذهبية في جزيرة ميورقة، ونشطت المناظرات الفقهية فيها، واعتنق أفكاره كثير من العلماء، رغم معارضة المالكيين لها، وظلت متأصلة فيها. قال الذهبي: "وَحَلَّ بجزيرة ميورقة فرأس فيها وأتبعه أهلها"⁽³⁾.

علماء الظاهر بعد ابن حزم:

تاريخ المذهب الظاهري بعد ابن حزم يبدأ من زمن تلاميذه. وتلاميذ ابن حزم كثر ولكنهم على أنواع، تختلف طباعهم ونفسياتهم، كما تختلف غاياتهم وأهدافهم: فمنهم من يقصده لأخذ الحديث فقط إذ يعدّ ابن حزم من كبار حفاظ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم⁽⁴⁾، ومنهم من يقصده لأدبه فقد ذاعت شهرته الأدبية خاصة بعد تأليف كتابه طوق الحمامة، ومنهم من يقصده لأخذ الفقه الظاهري ليرى الاختلاف بين المذاهب الفقهية، وهؤلاء يدرسون الفقه المقارن. ومنهم من يقصده لأخذ الفقه الظاهري إيماناً منهم بصوابه، واعتقاداً في حججه ومآخذه.

ومن الذين اشتهروا بصحبته والأخذ عنه، واختصوا به الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح (ت 488هـ/ 1095م)، قال ابن بشكوال: "روى عن أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، واختص به، وأكثر عنه، وشهر بصحبته"⁽⁵⁾. و"كان يتعصب له، ويميل إلى قوله، وأصابته فيه فيه فتنة، ولما شدد على ابن حزم خرج الحميدي إلى المشرق"⁽⁶⁾.

ورغم ما وصل إليه الحميدي من تحصيل العلوم والمعارف، حيث جمع بين الفقه والحديث والأدب كشيخه ابن حزم، ووضع كتباً من أعظمها الجمع بين الصحيحين، قال ابن بشكوال: "ولأبي عبد الله هذا كتاب جمع فيه بين صحيح البخاري ومسلم"⁽⁷⁾، إلا أنه لم يؤلف في الفقه الظاهري

(1) عياض بن موسى أبو الفضل اليحصبي (ت 544هـ/ 1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط محمد سالم هاشم، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت ص 264.

(2) ابن الأثير: الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، ط 02، دار المعارف، القاهرة 1985، ج 02، ص 128.

(3) الذهبي، السير، ج 18، ص 540.

(4) ابن حجر، المصدر السابق، ج 05، ص 489.

(5) ابن بشكوال، المصدر السابق، ج 02، ص 192.

(6) الذهبي، السير، ج 19، ص 125.

(7) ابن بشكوال، المصدر السابق، ج 02، ص 193.

كتاباً واحداً، واكتفى بنشر كتب شيخه ابن حزم.

ومن تلامذته الذين أخذوا بالظاهر علي بن سعيد بن عبد الرحمان المعروف بأبي الحسن العبدري (ت 493هـ/ 1100م)، ألف كتاب مختصر الكفاية، "أخذ عن أبي محمد الظاهري، وأخذ عنه ابن حزم أيضاً، ثم جاء إلى المشرق، وحجّ ودخل بغداد، وترك مذهب ابن حزم، وتفقه للشافعي على أبي إسحاق الشيرازي"⁽¹⁾.

وإذا تجاوزنا القرن الخامس، نجد من أعلام القرن السادس أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجي العبدري (ت 524هـ/ 1129م). قال السيوطي: "من أعيان الحفاظ وفقهاء الظاهرية"⁽²⁾، وقال الذهبي: "الميورقي المغربي الظاهري"⁽³⁾، وكان يفتي على مذهب داود، ويعتقد من أحاديث الصفات ظاهرها"⁽⁴⁾.

ومنهم أبو بكر محمد بن الحسين الميورقي (حيًا 537هـ/ م). "كان فقيها ظاهرياً، عارفاً بالحديث وأسماء الرجال، متقناً لما رواه"⁽⁵⁾. استقرّ في بجاية، وحدّث بها، وسمع منه سنة 537هـ/ 1142م، وكان وكان يغلب عليه الزهد والصلاح"⁽⁶⁾.

ومنهم أحمد بن عبد الملك بن محمد الأنصاري (ت 549هـ/ 1154م). "كان حافظاً عارفاً بالحديث ورجاله، فقيهاً ظاهرياً المذهب على طريقة ابن حزم، وله تأليف مفيد في الحديث سمّاه "المنتخب المنتقى"، جمع فيه ما افترق في أمّهات المسندات"⁽⁷⁾.

ومن أعلام القرن السابع نذكر الحافظ أبا الخطاب مجد الدين عمر بن الحسن بن دحية (1235/633م). قال ابن خلكان: "من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، متقناً لعلم الحديث النبوي وما يتعلّق به... واشتغل بطلب الحديث في أكثر بلاد الأندلس الإسلامية، ولقي بها علماءها ومشايخها، ثمّ رحل منها إلى برّ العدوّة ودخل مراكش واجتمع بفضلائها، ثمّ ارتحل إلى إفريقية ومنها إلى الديار المصرية ثمّ إلى الشام والشرق والعراق"⁽⁸⁾.

وقال المقرّي: "الظاهري المذهب، الأندلسي، كان من كبار محدّثين، ومن الحفاظ الثقات الأثبات

⁽¹⁾ عبد الوهّاب بن علي تاج الدين السبكي (ت 771هـ/ 1369م): طبقات الشافعية الكبرى، تح محمود محمّد الطنّاحي وعبد الفتّاح محمّد الحلو، د ط، دار إحياء الكتب العربية، د ت، ج 05، ص 257.

⁽²⁾ عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت 911هـ/): طبقات الحفاظ، ج 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1403هـ- 1983م، ص 461.

⁽³⁾ الذهبي، السير، ج 19، ص 579.

⁽⁴⁾ نفسه، ج 19، ص 582.

⁽⁵⁾ المقرّي، النفع، ج 02، ص 155.

⁽⁶⁾ نفسه، ج 02، ص 155.

⁽⁷⁾ ابن الأثير، التكملة، ج 01، ص 55.

⁽⁸⁾ ابن خلكان، الوفيات، ج 03، ص 449.

المحصّلين، استوطن بجاية... وروى بها، وأسمع⁽¹⁾.

ومنهم ابن الرومية أحمد بن محمد بن المفرج الإشبيلي (ت 637هـ / 1239م) "الحزبي الظاهري النباتي الزهري العشّاب"⁽²⁾. قال ابن الأثير: "كان فقها ظاهريّا متعصّبا لابن حزم بعد أن تفقّه في المذهب المالكي على أبي الحسين بن زرقون"⁽³⁾.

ومنهم الشيخ محي الدين بن عربي (ت 638هـ / 1240م) صاحب الفتوحات المكيّة، وفصوص الحكم، الصوفيّ الفقيه المشهور، "كان ظاهري المذهب في العبادات، باطنيّ النظر في الاعتقادات"⁽⁴⁾.

ويذكر الغبريني في ترجمة أبي عليّ حسن بن عليّ المسيلي صاحب كتاب "النبراس في الردّ على منكري القياس"، وهو ردّ على ابن حزم وأتباعه، أنّه كان في بجاية جماعة من أتباع الظاهر، قال: "ولقد أخبرني بعض الطلبة المتمسّكين بالظاهر، وهو من أنبلهم"⁽⁵⁾.

ومن رجال القرن الثامن ينقل إلينا المقرّي ترجمة "أبي عبد الله، ويقال: أبو سلمة، محمد بن عليّ البيّاسي الغرناطي الأنصاري ناصر الدين، روى عن الحافظ أبي جعفر بن الزبير وغيره، وقدم إلى القاهرة واستوطنها بعد الحجّ، حتّى مات بها سنة 703هـ / 1303م، وكان عارفا بعلم الحديث وكتب منه كثيرا، ومال إلى مذهب الظاهرية، وانتفع به جماعة من طلبة الحديث"⁽⁶⁾.

ووجد المذهب الظاهري انتعاشا كبيرا في عهد الموحّدين، وأصبح لفقهاء الظاهر مكانة كبيرة⁽⁷⁾. وأصبح العصر الموحّدي العصر الذهبي الثاني للمذهب الظاهري بعد عصر ابن حزم، إذ انتصر في عهد ابن حزم بالجدل والمناظرة، وانتصر في عهد الموحّدين بالقوّة والسلطان.

ولكنّ عصر الموحّدين كان محدود الزمن، عابر الفترة، حيث ردفته نظم أخرى قلبت الأحوال، وعكست الاتجاه الفقهي الرسمي للدولة، وأحييت كتب الفروع، وعادت إلى مأرز المالكية الذي كانت عليه أيّام سيادة الدولة الأموية على الأندلس.

وبذهاب عصر الموحّدين بدأ المذهب الظاهري في الأفول بتضاؤل أتباعه، حتّى جاء عصر ابن خلدون فقال يصف حال المذهب في عصره: "ثمّ درس مذهب أهل الظاهر اليوم بدروس أئمتّه، وإنكار الجمهور على منتحله، ولم يبق إلّا في الكتب المجلّدة، وربّما يعكف كثير من الطالبين ممّن تكلف بانتحال مذهبيهم على تلك الكتب، يروم أخذ فقههم منها ومذهبيهم، فلا يخلو بطائل، ويصير إلى مخالفة

⁽¹⁾ المقرّي، النفخ، ج 02، ص 99.

⁽²⁾ الذهبي، السير، ج 23، ص 58.

⁽³⁾ ابن الأثير، التكملة، ج 01، ص 107.

⁽⁴⁾ الذهبي، السير، ج 02، ص 164.

⁽⁵⁾ الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس (ت 714هـ / 1314م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ببجاية، تح عادل نوهض، ط 02، دار الأفاق الجديدة، بيروت 1979، ص 33.

⁽⁶⁾ المقرّي، النفخ، ج 02، ص 59.

⁽⁷⁾ أحمد أمين، المرجع السابق، ج 03، ص 66.

الجمهور وإنكارهم عليه، وربما عدّ بهذه النحلة من أهل البدع بنقله العلم من الكتب من مفتاح المعلمين⁽¹⁾.

خاتمة:

تاريخ المذهب الظاهري هو بعض من تاريخ الذهنيات، وتاريخ التشكّلات المعرفية في بلاد الأندلس. ومن يستفاد تاريخ العقل الفقهي في الغرب الإسلامي في كلّ تطوّراته، وفي كلّ حالاته الشاملة للتعصّب والانفتاح، للقبولية وللمقارنة.

وتبيّن من عرض التاريخ من خلال التراجم كيف يكون التأثير لشخصية واحدة إذا رامت ذلك بموسوعية في المعارف، وبتمكّن من الأصول، وبإلمام باختلاف العلماء في الأصول والفروع. وتمثّلت هذه الشخصية في ابن حزم، فلم تخل العصور من فقيه ظاهري إلى اليوم، ولكن خلت من شخصية كشخصية ابن حزم.

كما يتبيّن كيف أنّ المذهب الظاهري ليس كالمذاهب، فهو المذهب الوحيد الذي ليس فيه تقليد لشيخ، وأنّ كلّ فقيه يجتهد على شاكلته، ما دام يملك أدوات الاجتهاد، ويجد النصوص والآثار.

المصادر:

- ابن الأثير محمّد بن عبد الله بن أبي بكر (ت 658هـ/1260م):
- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهرّاس، ط، دار الفكر، بيروت 1405هـ/1995م.
- الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، ط 02، دار المعارف، القاهرة 1985.
- الباجي سليمان بن خلف أبو الوليد (ت 474هـ/1081م): المهاج في ترتيب الحجّاج، تحقيق عبد المجيد التركي، ط 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2001.
- ابن بسّام أبو الحسن عليّ الشنتريني (ت 542هـ/1147م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عبّاس، د ط، دار الثقافة، بيروت 1417هـ/1997م.
- ابن بشكوال أبو القاسم (ت 578هـ/): الصلة، تحقيق بشّار عوّاد معروف، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2010.
- ابن حجر أحمد بن عليّ العسقلاني (ت 852هـ/1448م): لسان الميزان، تحقيق عبد الفتّاح أبو غنّة، ط 1، دار البشائر الإسلامية، بيروت 1423هـ/2002م.
- ابن حزم: فضائل الأندلس وأهلها، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط 1، بيروت 1968، ص 13.
- الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد محمّد شاكر، ط 1، بيروت 1980.

(1) ابن خلدون، المقدّمة، ج 02، ص 177.

- ابن حزم: ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل، تحقيق سعيد الأفغاني، د ط، مطبعة جامعة دمشق، دمشق 1379هـ/1960م.
- ابن حزم: النبذة الكافية في أحكام أصول الدين، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1405هـ/1985م.
- الحميدي أبو عبد الله محمد بن فتوح (ت 488هـ/1095م): جنوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد ومحمد بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس 1429هـ/2008م.
- الحنبلي ابن عماد شهاب الدين (ت 1089هـ/1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت 1406هـ/1986م.
- ابن حيان أبو مروان خلف (ت 469هـ/1076م): المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، بيروت 1973.
- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد (ت 808هـ/1432م): مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار البلخي، دمشق 2004.
- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين (ت 681هـ/1282م): وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت، دت.
- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد أبو عبد الله (ت 748هـ/1374م):
- تذكرة الحفاظ، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم الزبيق، ط 11، مؤسسة الرسالة، بيروت 1417هـ/1996م.
- السبكي عبد الوهاب بن علي تاج الدين (ت 771هـ/1369م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطنجي وعبد الفتاح محمد الحلو، د ط، دار إحياء الكتب العربية، د ت.
- صاعد بن أحمد أبو القاسم (ت 462هـ/1069م): طبقات الأمم، تحقيق الأب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1912.
- الضبي أحمد بن عميرة (ت 599هـ/1203م): بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1410هـ/1989م.
- ابن العربي أبو بكر المعافيري (ت 543هـ/1148م): العواصم من القواصم، تحقيق عمّار طالبي، ط2، الجزائر 1981.
- عياض بن موسى أبو الفضل اليحصبي (ت 544هـ/1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط محمد سالم هاشم، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.
- الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس (ت 714هـ/1314م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نوهض، ط 02، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979.
- ابن الفريسي أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت 403هـ/1012م): تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، د ط، تحقيق: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة 1373هـ/1954م.
- ابن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي (ت 799هـ/1397م): تبصرة الحكام في أصول الأقضية وأصول الأحكام،

- مطبوع على هامش فتح العلي المالك للشيخ عليش، د ط، مصر 1329هـ/ 1911م).
- المقدسي أبو عبد الله شمس الدين البشاري (ح 390هـ/ 1000م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، د ت.
- المقرئ أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/ 1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، د ط، دار صادر، بيروت 1408هـ/ 1988م.
- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 914هـ/ 1508م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي وجماعة، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1401هـ/ 1981م.
- ياقوت الحموي الرومي (626هـ/ 1229م): معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993.

المراجع:

- أحمد أمين: ظهر الإسلام، ط3، دار العلم للملايين، بيروت 1969.
- بالنثيا أنخل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1955.
- بروفنسال ليفي: الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، ط2، القاهرة 1985.
- التركي عبد المجيد: مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباقي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 01، بيروت 1986.
- جيب: علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، ترجمة عادل العوّا، ط1، دار عويدات، بيروت 1977.
- حميداتو مصطفى محمد: مدرسة الحديث في الأندلس، ط1، دار ابن حزم، بيروت 1428هـ/ 2007م.
- أبو زهرة محمد: ابن حزم حياته وعصره-آراؤه وفقهه، ج ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت.
- طاهر بن علي: عوامل الانتشار والتمكين للمذهب المالكي في الأندلس، مجلة الدراسات التاريخية، ع 15-16، الجزائر 1434هـ/ 2013م.
- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983.
- العروي عبد الله: مفهوم العقل، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2001.
- عويس عبد الحليم: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ط 2، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1409هـ/ 1988م.
- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة منير البعلبكي ونبيه أمين فارس، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت 1968.
- مبارك زكي: النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة 2012.
- مسعد سامية مصطفى: التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره على سقوط الأندلس، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة 1424هـ/ 2004.

- ابن نبي مالك: شروط النهضة، ط3، دار الفكر، بيروت 1963، ص 88، ومشكلة الثقافة، ط4، دار الفكر، بيروت 1984.